الطيب الثعالبي نضاله ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية

أد. عبد الله مقلاتي
جامعة : محمد بوضياف بالمسيلة/ الجزائر

الملخص

في هذا المقال نحاول التعريف بالمسيرة النضالية والكفاحية للطيب الثعالبي، المناضل في حزب الشعب منذ الحرب العالمية الثانية، والقيادي في حركة انتصار الحريات والديمقراطية الى غاية تفجر أزمتها صيف عام 1954، والمكافح في صفوف الثورة التحريرية وعضو المجلس الوطني للثورة منذ عام 1956، ورئيس فدراليتي جبهة التحرير الوطني بالمغرب وتونس، لم تسعف كل هذه المسيرة والمسؤوليات التي تولاها في إبراز شخصيته في سجل كتابة تاريخ الحركة الوطنية وثورة التحريري، واعتمادا على شهادته وشهادة رفاق دربه النضالي، وعلى وثائق الأرشيف المؤرخة لنضاله نحاول أن نعرف بهذه الشخصية ونبرز دورها القيادي في الثورة التحريرية، ونشيد بمزايا أحد إطارات الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وذلك باعتباره أنموذج للنخب السياسية المهمشة نتيجة مواقف سياسية وفكرية معارضة للنظام السياسي في الجزائر المستقلة.

مقدمة:

الطيب الثعالبي شخصية مغمورة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وذلك على الرغم من مساهمته الفاعلة في النضال السياسي الإصلاحي والاستقلالي، وتوليه لمسؤوليات قيادية في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وجبهة التحرير الوطني، وخاصة قيادته لفدراليتي جبهة التحرير في المغرب وتونس، ومع ذلك يتم تهميش دوره كإطار سياسي بارز في الثورة التحريرية وعضو في أول مجلس وطني للثورة الجزائرية، وفي هذا المقال نحاول التعريف بمسيرته النضالية ودوره القيادي في الثورة التحريرية، وذلك مساهمة منا في إبراز أحد النخب السياسية المهمشة في الجزائر المستقلة.

1ـ التعريف بشخصية المناضل الطيب الثعالبي:

الطيب الثعالبي شخصية نضالية عريقة تولى مسؤولية فدرالية الجبهة بالمغرب وتونس، وعين عضوا إضافيا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية خلال مؤتمر الصومام في أوت 1956 .

تعرفنا على المناضل الكبير الطيب الثعالبي من خلال حوار أجرته معه مجلة أول نوفمبر عام 1988([1])، وبحكم اهتمامي بموضوع العلاقات الجزائرية المغاربية وتوليه لمسؤولية قيادة فدرالية الجبهة بالمغرب رأيت من الضروري اللقاء به وتسجيل شهادته، وبفضل الزميل المحترم الدكتور مصطفى بيطام مدير المتحف الوطني للمجاهد تم تنظيم لقاء معه يوم 16 مارس 2006 ، وأتاحت لي جلسة الثلاث ساعات أن أسبر أغوار هذه الشخصية وأتعرف على انجازاتها، خاصة وأني حضرت أسئلة كثيرة ومتنوعة وجريئة، واليوم وعلى الرغم من مرور عشر سنوات من لقائنا لم يتم التعريف بهذه الشخصية بالشكل اللائق، عدا استضافته في بعض الحصص التلفزيونية، خاصة المتعلقة بقضية اغتيال رفيقه بوضياف بصفته عضوا في لجنة التحقيق.

ولد المناضل الكبير سنة 1923 بأولاد حبابة دائرة الحروش ولاية سكيكدة، من أسرة دينية إصلاحية، تعلم في الكتاب وفقه علوم الشريعة واللغة العربية، كما تحصل على الشهادة الابتدائية من المدرسة الفرنسية، وفضلا عن ذلك اعتمد على نفسه في تكوين شخصيته العلمية، وقد أهله تعليمه ليصبح معلما في مدارس جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري.

انخرط مبكرا في العمل الوطني عن طريق فوج الكشافة الإسلامية بالحروش، وناضل في حزب الشعب رفقة الشهيد زيغود يوسف لكن الظروف فرقت بينهما، إذ سجن سي الطيب مرتين ما بين سنتي 1945- 1948، تولى مسؤولية الكشافة الإسلامية وهو مدرس في المدارس الحرة لحزب الشعب، وقد تعرف على ابن مهيدي وعبان رمضان.

وقد كلف عشية اندلاع الثورة بعدة مهام منها محاربة المصالية بمغنية وتلمسان والتنسيق بين قيادة المنطقة الخامسة وبيطاط، وفي بداية 1955 تقرر أن يعمل مساعدا لعبان رمضان ولكن ما إن وصل إلى العاصمة حتى طلبه ابن مهيدي للتكفل بمهام الإعلام والتسليح في المغرب، عمل مساعدا لبوضياف ثم مسؤولا عن فدرالية جبهة التحرير الوطني بالمغرب (1956- 1957)، وعين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية (1962-1956)، وقد بذل جهودا معتبرة في تأطير الجزائريين المتواجدين في المغرب وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للثورة، وعين في سنة 1957 مشرفا على مكتب الصحافة والإعلام بالقاهرة، وتولى في الفترة ما بين (1958-1962) مسؤولية فدرالية الجبهة بتونس، فواصل مهامه النضالية بكل تفان وإخلاص إلى أن تحقق الاستقلال للوطن.

وبعد الاستقلال فضل الابتعاد عن السياسة بعد تجربة المعارضة، حيث لم يكن راضيا عن المسار الذي آلت إليه الأوضاع، خاصة هيمنة هيئة الأركان وابن بلة على السلطة، وتهميش أصدقائه السياسيين أمثال بوضياف وبن طوبال...، اختار مواصلة العمل في ميدان التعليم، واشتغل أستاذا ثانويا ثم مديرا للمعهد التربوي (1972-1977)، ثم عمل مستشارا في وزارة العمل، وما زال على قيد الحياة يتذكر السجل الحافل من نضاله الوطني وذكريات الرواد الذين عمل معهم : زيغود، وابن مهيدي وبوضياف وعبان وبوالصوف ...الخ([2]).

وهكذا فإن هذه الشخصية المغمورة سجلت مواقف متقدمة في النضال الوطني والعمل الثوري، وهي واحدة من إطارات الثورة المتميزة بخبرتها السياسية، وتجربتها في العمل الثوري، وخاصة من مواكبة مسيرة الحركة الوطنية بمحطاتها الحاسمة، والإشراف على فدرالية جبهة التحرير الوطني في المغرب وفي تونس.

2 ـ الطيب الثعالبي مناضلا في الحركة الوطنية:

عايش الثعالبي مسيرة حافلة من النضال، تميزت بأحداثها الكبيرة وبالعمل مع القادة البارزين، كانت بدايتها بالحروش والسمندو القريبتين من قسنطينة، حيث انخرط عام 1943 في حزب الشعب الجزائري رفقة زيغود يوسف والشيخ الحسين بالميلي والعربي دماغ العتروس...الخ، ولما اكتشفت السلطات الفرنسية نشاطه نفته سنة كاملة إلى سيد عيش ببجاية، وعاد الى السمندو قبيل حوادث الثامن ماي 1945، وأسهم مع زيغود في تنظيم مظاهرة بالقرية، رد عليها الحاكم الفرنسي باعتقال الثعالبي ورفاقه وإرسالهم إلى سجن الكدية بقسنطينة، ثم نقل الثعالبي إلى سجن الحراش ومنه إلى منفى جنان بورزق سيئ السمعة قرب عين الصفراء، وفي مارس 1946 أطلق سراحه في إطار سياسة العفو الشامل، وعاد للنشاط السياسي في السمندو في ظروف جديدة، حيث شارك في الحملات السياسية للحزب وتعرف على قيادته، وبعدها انتقل للتعليم في مدرسة جمعية العلماء بشلغوم العيد رفقة حسين بلميلي، وهناك تعرف على عبان رمضان الموظف بالبلدية، وعمل معه على تأسيس خلية نشطة لحزب الشعب، وقد كان للثعالبي وبلميلي فضل في ضم عبان للحزب بعد أن كان مجرد متعاطف، وساورتهما في البداية شكوك حول وطنيته ما لبث أن زالت، كما كان لهما فضل في اكتساح الحزب للبلدية على حساب حزب البيان، مما جعل فرحات عباس يتدخل لدى الجمعية ويشتكي صنيعة هذين المعلمين، فاضطرت الجمعية لنقل الثعالبي إلى مدرستها بمغنية في أقصى الغرب الجزائري، ولكن الثعالبي لم يستجب لذلك ولجأ إلى صديقه دماغ العتروس ليعينه معلما في مدرسة الرشاد بالعاصمة([3]).

وخلال ربيع 1948 عين الثعالبي في لجنة تنشيط الحملة الانتخابية للحزب بعمالة وهران، وذلك رفقة خليفة بن عمار ومحمد شرشالي وعيسى العبدلي، وكان متميزا عن رفاقه بحماسته وإقدامه وحسن خطابه، وقد ألقي القبض على اللجنة في البيض وتمت محاكمتها في معسكر، وحكم على الثعالبي بسنتين حبسا وعشر سنوات منعا من الإقامة بالعاصمة، وكان ملفه يشير إلى نشاطه الدؤوب بالعاصمة في التوجيه السياسي وإلقاء الدروس والاجتماعات الليلية والدعاية للحزب...الخ، وتنقل الثعالبي بين سجون سركاجي والبرواقية ولامبيز بباتنة، والتقى خلالها بقيادات الحزب التي اعتقلت في إطار الحملة

الانتخابية، ومنها لحول حسين الذي أخذ عليه الثعالبي تخليه عن مسؤولياته وبغض القيادات البربرية التي حاول إقناعها بالرجوع إلى خط الحزب الإيديولوجي ونجح في ذلك(4).

وبعد إطلاق سراحه استأنف الثعالبي نشاطه التربوي والنضالي في مدينة البليدة، حيث كان الشيخ محمد محفوظي يدير مدرسة الحزب بالمدينة، وبعد عامين نقل إلى مغنية للتدريس بمدرسة الحزب هناك، وكانت مغنية إحدى قلاع الحركة الوطنية، يتردد عليها دوريا قادة الحزب وخاصة خلال الحملات الانتخابية أو التنقل إلى المغرب، وخلال صيف 1954 عايش الثعالبي أزمة الحركة، حيث كان يتناقش مع القادة الذين يلقاهم بالمدرسة وضعية الحركة الاستقلالية، ومن بين هؤلاء القادة الذين كانوا يلجئون للمدرسة ويوفر لهم الآمان بوصوف وبن عبدالمالك رمضان وابن مهيدي؟، وكان مساندا لطروحاتهم الثورية خلال مؤتمرات الحزب ومنها مؤتمر أفريل 1953، حيث صفق مطولا لخطاب ابن عبدالمالك النقدي لقيادة الحزب وخطها الإصلاحي، والتزم في اجتماع اللجنة المركزية في جوان 1954 موقف الحياد على الرغم من محاولات استقطابه من قبل المركزيين والمصاليين، وقد تغيب الثعالبي عن حضور مؤتمر هورنو الذي عقده المصاليون، ورأى أن يحضر مؤتمر المركزيين بعده، ويوجه انتقادات لاذعة للحول حسين ورفاقه وحملهم مسؤولية أزمة الحزب ودعاهم لترك المسؤولية لعناصر جديدة وحكيمة(5).

3ـ التحاقه بصفوف الثورة وتوليه مسؤولية فدرالية الجبهة بالمغرب:

لقد رحب الثعالبي بخطوة اندلاع الثورة التحريرية واعتبرها الحل الناجع للمشكلات التي كان يعيشها الحزب، وكان موقفه منسجما وتوجهات قيادة الثورة بالمنطقة الخامسة، خاصة وانه على اتصال مباشر بابن مهيدي وبوصوف، وقد طلب منه مبدئيا القيام بمهمة التعريف بتنظيم جبهة التحرير الوطني والقيام ببعض المهام اللوجستيكية، إذ اتصل به بوصوف وطلب منه ربط الاتصال في وهران بالدكتور النقاش من أجل توفير بعض الأدوية للمجاهدين، وعندما التقى بابن مهيدي كلفه هذا الأخير بربط الاتصال بقيادة المنطقة الرابعة وخاصة رابح بيطاط، فجاء إلى العاصمة وتحدث مع المناضل محمد بن لمقدم في الموضوع فربط اتصاله بأوعمران ثم بعبان، وبواسطة الطيب الثعالبي حدث تنسيق مبكر بين المنطقتين، أستغل في تبادل المعلومات والتسليح والتموين، وقد عبر عبان عن رغبته في إبقائه بالعاصمة للعمل معه، وحدث العربي التبسي من أجل نقله إلى مدرسة جمعية العلماء بالبليدة ليكون قريبا منه،

وأثناء ذلك اتصل بوضياف بالثعالبي وطلب منه دخول المغرب والالتحاق بالوفد الخارجي بالقاهرة لأن خيضر بحاجة إلى مناضل معرب يستعين به في أداء مهامه بالمشرق العربي، ثم قرر بوضياف إبقائه في المغرب لمساعدته في مهامه السياسية([6]).

ومن بين المهام الأولى التي أداها في المغرب التنسيق مع جيش التحرير المغربي وجمع الأسلحة في منطقة الريف، حيث استقر في مكتب الجبهة بتطوان كمساعد لبوضياف وابن مهيدي، وكان يداوم في غيابهما، ويربط الاتصال مع قادة جيش التحرير المغربي وزعماء الأحزاب السياسية، ويعرف بالقضية الجزائرية، وخاصة من خلال حضور الاجتماعات والكتابة في الصحف المغربية، ومنها صحيفة الأمة التي يصدرها عبدالخالق الطريس زعيم حزب الإصلاح، وكان يوقع باسم "الفتى الجزائري"، ويذكر الثعالبي أن المغاربة قدموا مساعدات ثمينة للمناضلين الجزائريين، وخاصة قيادة جيش التحرير المغربي بقيادة عبدالكريم الخطيب ذو الأصول الجزائرية، وأن عبدالخالق الطريق وفر مساعدة من أجل إصدار صحيفة المقاومة الجزائرية في تطوان، حيث كان الثعالبي يشرف على القسم العربي([7]).

وإثر استقلال المغرب في مارس 1956 عين بوضياف الثعالبي مسؤولا عن فدرالية الجبهة في المغرب، وحدد مهامه كما يذكر الثعالبي في تأطير الجالية الجزائرية والتنسيق مع السلطات المغربية، وفي هذا السياق يتحدث الثعالبي عن جهوده المضنية في إرساء التنظيم من خلال التنقل عبر مختلف مدن المغرب وتعيين المسؤولين المحليين، " أنشأنا الفيدرالية في المغرب، لم تكن المنظمة على أحسن ما يرام، قمنا بجولتنا أنا وبوضياف، وزرنا كل المغرب مدينة مدينة، وأينما تواجد الجزائريون هيكلنا الخلايا، وكان هو أساس نظامنا السياسي"([8]).

ومن بين المسؤوليات التي تولاها الثعالبي الاهتمام بإنشاء التنظيمات الجمعوية مثل الهلال الأحمر الجزائري، وجمعية النساء الجزائريات، وجمعية الطلبة الجزائريين بالمغرب([9])، وهذا في وقت مبكر، وهو ما سمح بتشكل نواة التنظيمات الوطنية فيما بعد، والتي تولت العناصر المتواجدة في المغرب مسؤوليات القيادة فيها.

وخلال هذه المرحلة كان الثعالبي مساعدا رئيسيا لبوضياف، ونائبا عنه في التكفل ببعض المسؤوليات الحساسة مثل الاتصال بالسلطات المغربية العليا والمحلية، وفي هذا الشأن يتحدث الثعالبي

عن تلك الاتصالات الأولى مع سلطان المغرب محمد الخامس، وأول اتصال بالملك كان في نهاية عام 1955، حيث نقل الثعالبي رسالة إلى الملك محررة من قبل آيت أحمد تطلب تقديم الدعم للثورة الجزائرية، " قابلنا الملك بواسطة الخطيب، توسط لنا وكان جزائريا، وأذكر أن رسالة كتبها آيت احمد للملك، وسلمت له بواسطة محمد خطاب، وقد ترجمتها بنفسي، وتضمنت مقارنة بين الجزائر وفلسطين، وطلب فيها مساعدة الثورة الجزائرية حتى لا تضيع الجزائر كما ضاعت الأندلس، وقال لنا محمد خطاب أن الملك تأثر بها وبكى، وبعدها طلب الملك زيارتنا فقمنا بذلك، واستقبلنا الملك ووعد الثورة بالدعم والمساندة"([10]).

وأما الاتصال الثاني فوقع في بداية استقلال المغرب، حيث يذكر الثعالبي أن الملك طلب مقابلة مسؤولي جبهة التحرير، وأرسل مدير أمنه الغزاوي لأخذهم إليه، وأنه أبلغهم أن ابن بركة المتواجد في أمريكا نقل إليه تعاطف أطراف أمريكية مع القضية الجزائرية، "فأبلغنا الملك بالمعلومات الواردة إليه من أمريكا ورغبته في إيجاد حل للقضية الجزائرية"([11]).

وتعددت بعدها الاتصالات بالقصر، "ومرة على مرة كنا نتصل بالملك، وأهم شخصية كنا على اتصال مستمر بها رئيس الأركان الحسن الثاني ومعه أحرضان قائد الجيش، وقد جمعتنا بهذا الأخير روابط متينة، وكان يعطف كثيرا على الثورة، وقد أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع، وكان يزوره الحسن الثاني، وفي بيته التقينا بالحسن الثاني، حيث كان يجتمع بنا أنا وبوضياف والشيخ خير الدين"([12]).

كما كانت للثعالبي اتصالات مع مختلف مكونات المغرب السياسية والجمعوية بحكم مسؤوليته، ويبدوا أنه بذل جهدا كبيرا في كسب دعمهم للثورة الجزائرية، فشبكة علاقاته كانت متسعة لكل الأطياف: قادة حركة المقاومة وخاصة عبدالكريم الخطيب المجند لدعم الثورة الجزائرية([13])، وقادة الأحزاب السياسية والوزراء والمسؤولين، " وكنا من قبل على اتصال بعلال الفاسي وابن بركة ومع حزبهم ونقابة العمال"([14])، كما ارتبط باتصالات مع ممثلي السفارات في المغرب، إذ يذكر أنه اجتمع مع بعض المسؤولين الأمريكيين الذين عبروا عن اهتمامهم بالقضية الجزائرية، وأن ذلك تم بواسطة محمد خطاب([15])، وقد عثرنا في الأرشيف الوطني الجزائري على مجموعة مراسلات تؤرخ لنشاط الثعالبي في هذه المرحلة من أجل إنجاح مهمة الثورة في المغرب([16]).

ويشيد بعض مسؤولي جبهة التحرير بالدور الذي أداه الثعالبي في المغرب، ومنهم علي هارون وهو مساعد للثعالبي، ومحمد بوضياف، وعباسي عزوز([17])، وبوداود محمد "منصور"، حيث يفيد هذا الأخير أن الثعالبي نهض بدور رئيسي في بعث تنظيم الثورة السياسي في المغرب، وأنه تولى مسؤولياته على أكمل وجه، وكان وطنيا مخلصا([18])، وعمل بوداود بأمر من بوضياف تحت إمرة الثعالبي مسؤول فدرالية المغرب، وكلف بملف التسليح، ويذكر أنه تعاون مع الثعالبي وبوضياف لشراء باخرة سلاح من اسبانيا كانت موجهة لحركة المقاومة المغربية وتخلت عنها بعد تحقيق استقلال المغرب([19]) .

وعندما انعقد مؤتمر الصومام في أوت 1956 عين الثعالبي عضوا إضافيا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، والذي شكل من سبعة عشر عضوا أساسيا وسبعة عشر عضوا إضافيا، وكل ذلك يدل على مكانة الرجل ودوره في الثورة خلال هذه المرحلة، خاصة وأنه مسؤول سياسي محنك، وأحد معارف عبان، ويتولى إحدى الفدراليات المهمة، وهي فيدرالية المغرب التي كانت تأتي في الدرجة الثانية بعد فدرالية فرنسا، وقد تمت الإشارة في محضر الصومام إلى أن الحالة جيدة في فدرالية المغرب، وأن تقريرا قدم للمؤتمر أعده الطيب الثعالبي تحت مراقبة بوضياف، وذلك على العكس من الحالة المتردية في فدرالية تونس([20])، ويذكر الثعالبي في شهادته أن عبان أرسل له بعد مؤتمر الصومام رسالة يطلب منه تنسيق عمله مع الولاية الخامسة([21]).

وفي أكتوبر 1956 وقع اختطاف طائرة زعماء الثورة الجزائرية، وكانت ردود الفعل الشعبية الشاجبة في المغرب قوية، ويذكر الثعالبي أن الأمر وصل إلى إمساك أحد الجزائريين بيد وزير الخارجية المغربي، وطلب منه الهتاف بحياة ابن بلة، وأن الضابط ابن ميلودي المتعاطف مع الثورة الجزائرية بادر بمعونة عناصر جزائرية إلى حرق ممتلكات للمعمرين بالمغرب، وردا على ذلك أرسل الملك ألى الثعالبي بواسطة الهاشمي الشريف([22]) يطلب منه عدم إثارة التشويش والعمل في إطار النظام([23]).

وقد سمح غياب بوضياف لبوصوف أن يعيد ترتيب الوضع في المغرب لصالحه، وحاول جاهدا أن ينتزع كثيرا من الصلاحيات المخولة لمسؤول فدرالية المغرب، إذ أصبح الثعالبي مسؤولا مدنيا عن المغرب الغربي في حين ألحق المغرب الشرقي ومصلحة التسليح بالولاية الخامسة، وبعد بضعة أشهر تم تحويل الثعالبي إلى تونس لتولي مسؤولية فدرالية الجبهة هناك، وذلك بحجة تردي الأوضاع بتونس،

وعين بدله عبدالجليل معاشو، ولم يكن هذا المسؤول حسب شهادة بوداود في مستولى المسؤولية فقد كان مطيعا أعمى لبوصوف وبومدين، وتسبب بسياسته البوليسية في تردي الأوضاع بالمغرب([24]).

لقد واجه الثعالبي صعوبات جمة في أداء مهمته في المغرب، خاصة وأن العلاقات مع المغرب كانت متشابكة، وتحتاج باستمرار إلى تدخل المسؤولين الجزائريين، حيث يذكر المدني أنه حل في فيفري 1957 بالمغرب والتقى ببوصوف وخير الدين والثعالبي لتدارس مشكلة الحدود التي طرحتها حركة المقاومة المغربية في المنطقة المتاخمة لبشار، وأنه التقى مع محمد الخامس ورجال المقاومة وقادة حزب الاستقلال لتجاوز كثير من المشكلات، ومنها الاتهامات الموجهة لجبهة التحرير الوطني بتبنيها الخيار الاشتراكي([25]).

حضر الثعالبي اجتماع المجلس الوطني للثورة في أوت 1957، وقدم قبل ذلك تقريرا عن الوضعية في المغرب استفاد منه عبان في تقديم تقريره العام للمجلس، حيث وردت معلومات مفيدة عن تنظيم فدرالية المغرب وقدراتها في دعم الثورة الجزائرية، ووجوب استغلال ذلك لدعم إستراتيجية الثورة، وخاصة كسب جانب السلطات المغربية، وفي هذا الشأن نقرأ في تقرير عبان ما يلي: "التنظيم بالمغرب وطيد. عدد المناضلين حوالي 6000. لا يوجد جزائري قاطن بالمغرب خارج إشرافنا. الجميع يساهمون، كل في حدود إمكانياته، في المجهود الحربي. تتراوح المداخيل الشهرية بين 20 و 25 مليون. هذا التنظيم القوي يسمح لنا، إلى حد ما، من ممارسة ضغط على السلطات المغربية وحزب الاستقلال الذين لا يتجاوبون معنا وتقديم مساعدة لنا كما هو شأن السلطات التونسية وحزب الدستور. المنطقة الاسبانية سابقا مفيدة جدا لنا. إنها بمثابة ملجأ لعناصرنا وهنا تتواجد الهيئات الحيوية للولاية الخامسة. بشيء من الإرادة يمكن للسلطات المغربية أن تسهل لنا معسكرات تدريب ، ومدارس للإطارات من كل صنف. ومراكز إرسال، الخ. من المستحسن أن يقوم وفد هام بزيارة للسلطان وللحكومة المغربية ليطلب منها مساعدتنا بصورة أكثر نجاعة"**([26])**.

وقد شعر الثعالبي بأزمة السلطة التي تفاقمت خلال الدورة، وخاصة الضغط الذي كان مسلطا من قبل العسكريين على عبان من أجل تهميش دوره، وقد عبر له عبان عن امتعاضه من معاملة الضباط المصريين، وخاصة فتحي الديب الذي تدخل لصالح العسكريين، وكان عبان يرغب في أن يتعامل مع وزارة الخارجية المصرية بدلا من الضباط العسكريين مثل فتحي الديب، الذي لم يكن يبدي احتراما للمسؤولين الجزائريين ويتحدث معهم بنوع من العجرفة، وخاصة عبان الذي حمل مسؤولية

قرارات الصومام الانتقادية لمصر، ولهذا أصر عبان على مغادرة لجنة التنسيق والتنفيذ للقاهرة والاستقرار في تونس، ولكن القرارات التي اتخذتها دورة المجلس الوطني كانت بمثابة انقلاب على سلطته، حيث شهدت بداية مرحلة لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية تهميشا واضحا لعبان انتهى بقرار اغتياله([27]).

4 ـ الطيب الثعالبي مسؤولا عن فدرالية الجبهة في تونس:

إثر اجتماع المجلس الوطني للثورة طلب كريم بلقاسم من الثعالبي العمل معه في تونس، وكان كريم يكن احتراما كبيرا لبوضياف، ويعتقد أنه من المفيد نقل تجربة المغرب التنظيمية إلى تونس التي شهدت هزات عنيفة، وقد كان بوصوف وراء طلب تحويل الثعالبي عن مسؤوليته بالمغرب بغية فرض نفوذ الولاية الخامسة في المغرب([28]).

قبل الثعالبي بعرض كريم بعد أن قدم له عرضين آخرين، إما العمل مع دباغين في الوفد الخارجي أو مرافقة عباس فرحات في وفد مسافر إلى أمريكا اللاتينية للتعريف بالثورة، وقد أعجب الثعالبي بتجربة العمل مع كريم وتكونت بينهما صداقة متينة، " أخبرني كريم بفوضى عبدالحي السعيد والطالب العربي والبلبلة التي شهدتها تونس، وطلب مني نقل تجربة المغرب إلى تونس، خاصة وأن التقرير المقدم عن قاعدة المغرب كان جيدا عكس الفوضى الحاصلة في تونس"([29]).

في تونس واصل الثعالبي نشاطه مسؤولا عن فدرالية الجبهة، كان عمله حثيثا وقد أرسى نظاما دقيقا يتولى الإشراف على الجالية الجزائرية في تونس، من حيث تنظيمها، وجمع الاشتراكات، وإبلاغها بقرارات الثورة وتسخيرها لخدمة الثورة، وكان نظاميا تابعا لكريم، ثم أصبح تابعا لابن طوبال الذي تولى عام 1960 وزارة الداخلية، وكانت علاقته جيدة مع الرائد قاسي مسؤول بعثة الحكومة المؤقتة في تونس والعناصر القبائلية الأخرى التي اعتمدها كريم في تونس، مثل الرائد ايدير، وكان يعبر دائما عن مقته للجهوية التي أضرت بالثورة في تونس، وخاصة الصراع بين المجموعات الشاوية والنموشية والسوفية والقبائلية، وكذا تسلط بعض الزعامات مثل كريم بلقاسم الذي اعتبر نفسه في نهاية عام 1959 الزعيم الأوحد للثورة الجزائرية، ولم يكن مرتاحا لتوجهات فرحات عباس المعتدلة([30]).

وكانت تجربة عمل الثعالبي مع ابن طوبال مفيدة، فهو يرى أن ابن طوبال تميز بفطنته وحكمته التي أفادت كثيرا الثورة الجزائرية، كما كان الثعالبي ينسق عمله مع هيئة الأركان العامة، والتي طلبت منه تجنيد شباب الجالية الجزائرية واللاجئين في الجيش فلبى بحسن نية طلبها، وقد أوضح له ابن طوبال يوما النوايا البعيدة لقيادة الهيئة في بسط سلطتها على قيادة الثورة، ونصحه بالحذر من مخططاتهم([31]).

ويذكر الثعالبي أنه ترك أرشيفا ضخما عن نشاطات فدرالية تونس، استولت عليه هيئة الأركان العامة عشية الاستقلال، وكانت تسميه بأرشيف علال الاسم الثوري للثعالبي، وأن تنظيم الفدرالية كان دقيقا ويشمل جميع الولايات التونسية، وجميع فئات المهاجرين واللاجئين الجزائريين، ومن بين مساعديه في الفدرالية بلحاج الأخضر، ومصطفى بوغابة...الخ([32]).

وكان الثعالبي شاهدا على تطور العلاقات مع تونس ومع الرئيس بورقيبة، والذي يبدوا انه وأمام قوة الثورة استسلم للأمر الواقع وأظهر دعمه للثورة الجزائرية، وخاصة في إطار المنافسة الشديدة بينه وبين عبدالناصر على احتواء قرارات الثورة، وكانت قيادة الثورة تلجأ بحكمتها لحل مشكلاتها مع النظام التونسي، وخاصة مشكلات خريف عام 1958 وصيف عام 1959، وأزمة جويلية 1961...الخ، حيث رافق الثعالبي مرارا ابن طوبال في اتصالاته واجتماعاته بالمسؤولين التونسيين، وخاصة وزير الداخلية الطيب المهيري، ومساعده أحمد التليلي([33]).

وقد تأثر الثعالبي كثيرا لصراع السلطة عشية الاستقلال، فقد وقف مع شرعية المؤسسات والحكومة المؤقتة، بغض النظر عن صداقته لابن طوبال وبوضياف، وبسبب ذلك تم تهميشه من قبل النظام الذي اتهمه بمساندة تمرد بوضياف والانخراط في حزب الثورة لاشتراكية، وأصدر في حقه حكما بالسجن، وقد قرر بعدها أن يعيش بكرامة بعيدا عن التملق والتزلف، ورجع إلى ميدان التعليم الذي تقاعد منه، وفي ظل الانغلاق السياسي الذي عاشته الجزائر لم يتسنى التعرف على شخصية الثعالبي إلا في مرحلة الانفتاح الديمقراطي.

وعاد الحديث عن الثعالبي بمجيء بوضياف للسلطة عام 1990، حيث كان مقربا وناصحا له، وإثر اغتيال بوضياف عين عضوا في لجنة التحقيق، التي اجتهدت في معرفة أسباب وظروف الاغتيال وقدمت تقريرها للسلطات العليا، ولا شك أن انشغاله بهذا الموضوع منعه من التفرغ لكتابة مذكراته،

خاصة وأن ظروفه الصحية تدهورت مؤخرا، وهو ما يمنع سطوع صفحات مضيئة من تاريخ النضال الوطني في سبيل تحرير الجزائر.

وهكذا فقد غيب دور الثعالبي وأمثاله من رجال النخبة السياسية الفاعلة خلال مرحلة الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وحري بنا أن نعود اليوم لدراسة تاريخ مثل هؤلاء الوطنيين المهمشين، وأن نهتم بكل أطياف النخب السياسية بما في ذلك رجال الصف الثاني، ولا نركز على أسماء بعينها فرضت نفسها على الكتابة التاريخية وتناست أدوار من كان يقف وراء صناعة مجدها، فقد كان الثعالبي صانعا لمجد بوضياف وبوصوف وكريم وابن طوبال ومع ذلك لا تذكره كتب التاريخ.

الخاتمة

في الختام ومن خلال دراستنا للمسيرة النضالية للطيب الثعالبي نخلص إلى تسجيل ما يلي:

إن المناضل والمجاهد سي الطيب الثعالبي يعد واحدا من إطارات الحركة الوطنية والثورة التحريرية، تمرس في العمل السياسي منذ أن التحق بحزب الشعب، وتولى عدة مسؤوليات في عهد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

لقد عرف الثعالبي بوطنيته المخلصة وتفانيه في العمل الوطني، وتميز بثقافته العالية وحنكته السياسية، وهو ما أهله لتأدية مسؤوليات عليا حساسة، تمثلت في ترأسه لأهم فدراليتين لجبهة التحرير، فدرالية المغرب وفدرالية تونس.

أدى الطيب الثعالبي مهامه الثورية منذ التحق بالثورة عام 1955 على أكمل وجه، وخاصة في ترأس فدراليتي المغرب وتونس، حيث نهض بنشاط تنظيم الجالية الجزائرية، وتأطيرها لتساهم في توفير الدعم للثورة الجزائرية، وخاصة في القواعد الخلفية، حيث كان جيش الحدود يشيد دولة داخل دولة، وكان الثعالبي يساهم في تنظيم خلايا جبهة التحرير الوطني والإشراف على مؤسساتها في المغرب وتونس. إن الثعالبي يعد بحق أحد الإطارات المتميزة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وكان لموقفه المعارض لنظام أحمد ابن بلة ووقوفه إلى جانب محمد بوضياف الدور الحاسم في تهميشه، وعلى الباحثين المنصفين نفض الغبار عن هؤلاء الوطنيين

قائمة الهوامش:

[1] حوار مع المجاهد الطيب الثعالبي ، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، العدد 193، جوان 1988، ص 24 وما بعدها.

[2] انظر حول حياته، مقلاتي عبدالله: قاموس أعلام وابطال الثورة الجزائرية، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009، ص ص 198- 199.

[3] محمد عباس: مثقفون في ركاب الثورة، دار هومة ، الجزائر ، 2004، ص 22 .

[4] المرجع نفسه.ص 23

[5] حوار مع المجاهد الطيب الثعالبي ، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، العدد 193، جوان 1988، ص 24 وما بعدها.

[6] محمد عباس: المرجع السابق، ص 26.

[7] مقابلة شخصية مع الطيب الثعالبي ، الجزائر العاصمة ، يوم 16 مارس 2006.

[8] الطيب الثعالبي، مقابلة شخصية .

[9] الطيب الثعالبي ، مقابلة شخصية .

[10] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية.

[11] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية .

[12] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية.

[13] اعددنا مؤخرا دراسة حول دوره في دعم الثورة الجزائرية تنشرها مجلة المواقف نهاية ديسمبر 2016 .

[14] الطيب الثعالبي، مقابلة شخصية.

[15] الطيب الثعالبي، مقابلة شخصية.

[16] وثائق الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم، رصيد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، العلبة رقم 221 ، ملفات متعددة من رقم 1 إلى رقم 12.

[17] حوار مجلة الباحث مع عباسي عزوز . مجلة الباحث، مجلة يصدرها الجيش الوطني الشعبي، الجزائر ، عدد خاص عن التسليح، 1987، ص 80

[18] وثائق مؤتمر الصومام، الارشيف الوطني الجزائرية، رصيد الحكومة المؤقتة، علبة رقم 232

[19] بوداود محمد: أسلحة الحرية، تر فخر الدين بلدي، منشورات رافار، الجزائر ، 2016، ص48 وما بعدها .

[20] محاضر مؤتمر الصومام ، وثائق الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم، رصيد الحكومة المؤقتة ، العلب رقم 232 .

[21] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية.

[22] محامي مرموق أصله من تيزي وزو، كان مقربا من السلطان وقدم مساعدات كبيرة للثورة الجزائرية، وقد كلفه الملك بالدفاع عن المختطفين الخمسة.

[23] الطيب الثعالبي مقابلة.شخصية

[24] بوداود محمد : المصدر السابق ، ص61 .

[25] المدني احمد توفيق: حياة كفاح، مذكرات الجزء الثالث، عالم المعرة، الجزائر، 2010، ص 500

[26] هذه الوثيقة نشرت لأول مرة من طرف مجلة "نقد" (عدد 12 ، ربيع وصيف 1999، ص 192 - 211) بعناية المؤرخ وعالم الاجتماع دحو جربال .

Rapport abane ramdane au C.N.R.A. 1957, revue NAQD . N12 .1999, pp192_ 211

[27] مقلاتي عبدالله: المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية، د م ج ، الجزائر، 2012 ، ص ص 108 ـ 109.

[28] حربي محمد جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر كميل داغر، مؤسسة الابحاث العربية ودار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 172، وشهادة محمد يوسفي مسؤول شبكات التسليح في المغرب حوار مع مجلة الباحث، عدد خاص بالتسليح، 1987، ص78

[29] الظيب الثعالبي مقابلة شخصية.

[30] الطيب الثعالبي في حوار مع مجلة أول نوفمبر ، العدد 193، جوان 1988 .

[31] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية.

[32] الطيب الثعالبي مقابلة شخصية .

[33] الأرشيف الوطني الجزائري، تقرير بعثة الحكومة المؤقتة في تونس حول سياسة بورقيبة تجاه الثورة علبة 302 ملف رقم 7ـ 4